الفصل الأول

دين سلمان بالمولد
المجـوسـيـة (دينُ زرادشت)
دين ضــاعت شــريعــتــه

- رتبة سلمان رضي الله عنه في المجوسية
- التوحيد في المجوسية
- علي بن أبي طالب ورأيه في المجوسية
- تدهور الزرادشتية ودخول البدع
- دخول عبادة النار
- ضياع الشريعة الزرادشتية
- رأي الشهرستاني
- سلمان ييأس من المجوسية ويشمئز من عبادة النيران
- تبادل التأثير والتأثر بين الزرادشتية والمسيحية
- أمثلة على ضياع الشريعة في الديانة المجوسية (الزرادشتية)
- سلمان مع الرهبان
- تسابيح
- ملحق الفصل: ترجمة البحث الذي كتبه زينر عن الزرادشتية.

obeikandl.com

obeikandl.com

كان سلْمان رضي الله عنه يعتقد فى الديانة المجوسية (الزرادشتية) وكان مجتهداً فيها متعمقًا حتى أنّه وصل فيها إلى رُتبة دينية عالية أو بتعبير آخر أصبح رجل دين مجوسى عالى الرتبة أو على حد تعبيره «واجتهدتُ فى المجوسية حتى كنتُ قَطْن النار التى يوقدونها لا يتركونها تَخْبو ساعة» . [ابن هشام، جـ٢ ، ص٤١] .

والمجوسيَّة فى أصلها من أديان التوحيد الخالص، وقد قال مسلمون كثيرون بنبوَّة زرادشت [الفصل بين الملل لابن حزم الظاهرى، جـ١ ، ص١٣٤] .

أمـا عـدم ورود ذكـر هذا النبى (زرادشت) فى القـرآن الكريـم، فـيـبـرّره ابن حـزم الظاهرى بالآيتين القرآنيتين الكريمتين :

١ـ (**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**) [فاطر / ٢٤] .

٢ـ (**ورُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ورُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**) [النساء/ ١٦٤] .

ومن الذين قالوا إنَّ المجوس (الزرادشت) أهل كتاب أى أن لهم نبيّا تلقَّى الوحىَ من الله سبحانه : على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وسعيد بن المسيِّب (ت ٩٣هـ تقريبًا) وغيرهما [ابن حزم، جـ١ ، ص١٣٥] .

لكن المجوسية (الزرادشتية) رغم أنَّها فى الأصل ديانة توحيد خالص، حَصَرت نفسها فأصبحت كاليهودية ديانةً خاصةً بشعب بعيْنه أو كانت أقرب ما تكون إلى ذلك، فمن القرن الثالث إلى القرن الخامس للميلاد كانت الزرادشتيَّة (المجوسية) هى ديانة الإمبـراطورية الفارسيـة لكنها كـانت قد وَهَنَت قبل اجتياح المسلمين للإمبـراطورية الفارسية وأصبحت ديانة الأقلية بالكاد [Zaehner:The Concise Ency. of living faiths,London, 1959,P.209] .

كانت المجوسية (الزرادشتية) إذًا قد تدهورت وتلبَّستها الخرافات والبدع وابتعدت عن التوحيد الخالص الذى كان هو جوهرها الأساسى، فهاجرت القلَّة التى تمسّكت

بالأصول الدينية خارج بلاد فارس، خاصَّة الهند، وكوَّنوا مجتمعًا زرادشتيًا يحظى بالرخاء والاحترام [Zaehner,P.209].

أمَّا سلمان الفارسى ففضل ترك المجوسية التى اعتراها الفساد ليهاجر غربًا، ولأنه كان أحد رجال الدين المجوس، فقد فضّل أن يبحث عن دين جديد عالمى، فربما لم يَرُق له أن تكون المجوسية دين شعب بعينه وأن يكون الله إلهًا لشعب بعينه دون الشعوب الأخرى. وربما كان أهم سبب لهجر سلمان للمجوسية هو أنّها دين ضاعت شريعته، كيف؟ يُحدثنا ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ) وهو باحث متبحِّر فى تاريخ الأديان أنَّ كتاب المجوس وشريعتهم إنما كانا طول فترة دولتهم عند الموَبذْ (أو الموبذان وهو حافظ الشريعة وقاضى القضاة) وعند ثلاثة وعشرين هربذًا (والهربذ مفرد هرابذة وهو عالم الدين المجوسى) لكلّ هربذ سفْر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم (ربما كان كل هربذ منهم متخصصًا فى أحد جوانب الشريعة لا يعدوها) ولا يُباح بشىء من ذلك لأحد سواهم، لكن الإسكندر الأكبر أحْرق من بين ما أحرق جانبًا كبيرًا من كتبهم. وما دامتْ النصوص محدودة العدد وما دام اقتناؤها كان مقتصرًا على عدد محدود منهم، فمن الطبيعى أن يضيع جزء كبير من شريعتهم خاصّةً أنَّ إطلاع العامَّة على نصوص الشريعة كان ممنوعًا وإنما كانوا يتلقَّونها ـ من خلال العظات شفاهة من رجال دينهم ـ ويقول رجال الدين المجوسى! إنه قد ضاع أكثر من ثُلْثَىْ كتابهم الحاوى شريعتهم ويُقال له الأفستا ولم يبق منه إلاَّ أقل من الثلث. ولم يكن تعلّم فقه المجوسية مُتاحًا للعامة وإنما لا يكون «إلاَّ لقومٍ خصائص». [ابن حزم، جـ١، ص١٢٧ طبعة دار الكتب العلمية بيروت]

لذلك وجدنا الشهرستانى (ت ٥٤٨هـ) العالم المشهور فى دراسة الأديان يضعُ المجوسية (الزرادشتية) فى القسم الذى جعل له عنوانًا هو (مَنْ له شُبْهة كتاب) وهو الباب الثالث من كتابه الملل والنحل [طبعة دار المعرفة، بيروت]

ومع كل هذا فقد بقيت فى المجوسية (الزرادشتية) بقايا تُنبئ عن أنَّها كانت فى الأصل دينًا سماويًا ينادى بالتوحيد والعدالة الاجتماعية، ومن ذلك:

ـ قول زرادشت: إنَّ للعالم قوَّة إلهية وهى المدبِّرة لجميع ما فى العالم.

ـ الدين أفضل من الكلام؛ إذ العمل أفضل من القول.

ـ لما بلغ زرادشت مبلغ الكمال بأربعين سنة . . . أكمل فيها معرفة شرائع دين الله وفرائضه وسُنَنه أمره الله بالمسير إلى كشتاسب الملك . . . وانتهى الأمر بإيمان كشتاسب «وأمر بجمع علماء أهل زمانه من بابل وإيران . . . وأمرهم بمحاورة زرادشت فناظروه فاعترفوا له بالفَضيلة» .

ـ لا بد من يوم يقوم فيه الناس «للحساب» بعد الموت .

ـ ومن المجوس سيسان وهو من رستاق نيسابور فأعلن رفضه لعبادة النيران (وكان عبَّاد النيران يُسمون بالزمزمية) وحرَّم الأمّهات والبنات والأخوات كما حرّم الخمر وأكل الميْتَة . [الشهرستانى ، جـ١ ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٤٤]

لكن المجوسية التى كانت فى الأساس من أديان التوحيد والعدل الاجتماعى والدعوة للعمل (العمل خير من الكلام) دخلتها الوثنية وأفسدها نظام الحكم أكثر فأكثر فاستبد الدهاقون (أصحاب الأراضى الشاسعة) ويلاحظ أنَّ والد سلمان الفارسى كان دهقانًا من الدهاقين [ابن هشام ، جـ٢ ، ص٤١] .

ومن مظاهر الخروج عن أصل الدين . وتدهور المجوسية واختلاطها اختلاطًا صارخًا بالوثنية ما نذكره بإيجاز فيما يلى :

ـ كان المجوس يتوجَّهون فى صلاتهم ناحية الشمس (لاحظ أنَّ المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك يتوجَّهون فى صلاتهم ناحية الشرق باعتباره مطلع النور) وشيئًا فشيئًا عبدوا (الشىء) ونسوْا ربَّ الشىء .

ـ كانت النار رمزًا للنور فتركوا المعنى (النور) وعبدوا الشىء (النار) .

ـ عبد بعضهم الشيطان (أهريمن) أو إبليس باعتبار أنَّ الله (النور) خَيْر خالص لا يأتى منه شر ، وبالتالى فالأولى بالتقرب إليه اتِّقاء لشرِّه هو الشيطان (أهريمن) .

***

لقد اعترى المجوسية (الزرادشتية) ـ إذًا ـ ما اعترى دين إبراهيم عليه السلام ، لقد فسدت بمرور الوقت ، وكانت فى حاجة إلى مصلح دينى يعيدها إلى جادَّة الطريق ، لكن ذلك لم يكن سهلاً ، ففى كثيرٍ من الحالات يعُم الفساد فى مؤسسة من

المؤسسات، ويجد من هم داخل هذه المؤسسة أنَّ مصلحتهم تقتضى إبقاء الحال كما هو عليه؛ لذا لا يكون الإصلاح إلاَّ فرضًا وقَسْرًا ومن خارج المؤسَّسة نفسها. يقول سلمان معبِّرًا عن يأسه من فساد الدين المجوسى والحياة الاجتماعية: «كُنت رجلاً فارسيّا من أهل أصبهان من أهل قرية يُقال لها جَيِّ وكان أبى دهقان قريته، وكُنتُ أحبَّ خلق الله إليه، لم يزل حُبُّه إيَّاى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبس الجارية... وكانت لأبى ضَيْعة عظيمة...» [ابن هشام، جـ٢، ص٤١].

إنَّ هذا النص رغم براءته فسلمان يتحدَّث عن حُب أبيه له، يبين لنا مدى البطالة التى كان يغطّ فيها أبناء الأثرياء، كما يُبيّن لنا على نحوٍ ما حال الدهاقين (مالكى زمام القرى).

وكان فى النصوص الدينية المجوسية كما هو الحال فى النصوص اليهودية والمسيحية إشارات إلى نبى آخر الزمان، ولاشكَّ أنَّ هذه النصوص قد استهوت عالم الدين المجوسى ـ فى ذلك الوقت ـ سلمان الفارسى. يقول الشهرستانى: «ومما أخبر به زرادشت فى كتاب «زند أوقستا» أنَّه سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا ومعناه الرجل العالم، يُزّين العالم بالدين والعدل، ثم يظهر فى زمانه بتياره فيوقع الآفة فى أمره وملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم ويُحيى العدل ويُميت الجور ويردُّ السنن المغيّرة إلى أوضاعها الأولى وتنقاد له الملوك وتتيسَّر له الأمور وينصر الدين والحق ويحصل فى زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن. [الملل والنحل، جـ١، ص٢٣٩]. إنَّ مثل هذه النصوص لابد أن تَسْتهوى أىَّ رجل دين، وكان سلمان قد وصل فى سلك الكهنوت المجوسى إلى مرتبة كبيرة.

لم تسترح نفسُ سلمان ـ رغم ما كان ينعمُ به من رغد العيش وحب الأب ـ إلى المجوسية التى حوَّلها أتباعها إلى ديانة تعدّد فيها الأرباب يعبدونها لتقرِّبهم إلى الله (أهورا مزدا) وانتهى بها الأمر إلى ديانة ثَنْوية أى تقول بإلهين، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى يهودية تلك الأيام. يقول الباحث زينَر فى موسوعة الأديان الحيّة: «لقد أثَّرت الزرادشتية بعمق فى العقيدة اليهودية كما ظهرت فى وثائق البحر الميِّت... إذ وجدنا فى اليهودية نوعًا من الثَّنْويّة يكاد يكون مطابقًا على نحو ما لفكر الزرادشتيين (المجوس) المتأخِّرين. ففى وَثائق البحر الميت أنَّ الله خلق الإنسان ليُسيطر على العالم

وجعل له روحين هما روح الحق truth وروح الضلال أو الخطأ error ، ففى مسكن النور توجد أصول الحق، ومن منبع الظلام توجد أصول الخطأ أو الضلال . . . وبفعل مَلَك angel الظلام يكون ضلال كل أبناء الصلاح . . . لكن رب إسرائيل ومَلَك الحق angel of truth ساعدا كلَّ أبناء النور . . . » [pp.212-213].

وفى الزرادشتية (المجوسية) فكرة الروح القُدُس أيضًا، وفكرة البعث وفكرة الثواب والعقاب، وأهم ما يميزها فكرة حرية الإرادة البشريّة ومسئولية الإنسان عن عمله، وفكرة عَدْل الله حيث وقف زرادشت بحسم إلى جانب حرية الإرادة البشرية بشكل مطلق، وإن تسربت أفكار جبرية بعد ذلك ليست من صُلْب الزرادشتية الأصولية التى يوضحها النص التالى: "تنقسم الأشياء فى هذا العالم إلى خمسة وعشرين قسمًا: خمسة من خلال القَدَر، وخمسة من خلال العمل، وخمسة من خلال الطبيعة، وخمسة من خلال الشخصية، وخمسة من خلال الوراثة. فالحياة والزوجة والأطفال والسلطة والثروة **قدر**. والعضوية فى إحدى طبقات رجال الدين والمقاتلين (الجند) والمزارعين والفضيلة والرذيلة **عمل**، ومباشرة الزوجة وإرضاء الحاجات الغريزية والأكل والشرب والمشى والنوم **طبيعة**، والصداقة والاحترام والكرم والصلاح والتواضع **شخصية**، والجسم والمكانة والفهم والذكاء والقوة **وراثة** . [Zaehner,p.220]

لكن هذه الفكرة ـ كما سبق القول ـ قد جرى مَسْخها ونَسْخها بمثل هذا النص «عندما يساعد القدر الرجل الشِّرير الكسول ذا العقل غير المستقيم فإن كسله يُصبح كالطاقة ويُصبح عدم استقامته حكمة ويُصبح شرّه كالخير. وعندما يُعاند القدرُ الحكيمَ المهذَّب ذا العقل الراجح تنقلب حكمته إلى بلاهة وغباء وينقلب أدبه إلى سَفَه ولا يُجدى علمه وأدبه ورجولته». [Zaehner,p.220].

ونكتفى لإثبات أنّ الشريعة الزرادشتية قد مُسخَت ودخل فيها ما ليس منها مما مهّد لزوال دولة الفرس بإيراد نُتَف مما أورده الباحث المدقق آرثر كريستنسن فى كتابه «إيران فى عهد الساسانيين»: «وقد اقتضت العناية بنقاء دم الأسرة . . أن ظهر جواز الزواج بين المحارم : بين الأب والبنت، والأم والابن، والأخ والأخت، بل وتمَّ إقحامه على نص الأفستا، وقيل إن الزواج بين الأخ وأخته منوَّر بمجد إلهى وله فَضيلة طَرْد الشيطان بل إنه يمحو الكبائر . . ويمدنا تاريخ العصر بكثير من أمثلة هذا النوع من الزواج» وكان

المسيحيون فى إيران يجدون هذا شيئًا نَجسًا . يقول البطريق مادبها الذى عاش فى عهد كسرى الأول : «إنَّ العدالة العجيبة عند عبَّاد أهورامزدا (يقصد الزرادشتيين أو المجوس على أيامه) تقضى أن يكون للرجل صلات شهوانية مع أمه وابنته وأخته . وهى عادة قبيحة نجسة يُبيحها هؤلاء الضّالون» [ص ص ٣١٠ـ ٣١١ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ ، وقد ترجمه د. يحيى الخشاب العالم القدير فى الدراسات الشرقية وراجعه د. عبد الوهاب عزّام]

من مثل هذا هرب سَلْمان الفارسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحثًا عن دين آخر .

وكما تأثرت اليهودية بالمجوسية كما ألمحنا، وجدنا الكتب المقدسة المسيحية تشير إلى صلة ما للمجوس بالمسيحية، نقرأ فى إنجيل متّى (كتب إنجيله فى حوالى الفترة من ٦٠ إلى ٦٥م) «وبعدما وُلد يسوع فى بيت لحم . . على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمون من الشرق يسألون : أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمًا طالعًا فى الشرق، فجئنا لنسجد له . . . فاستدعى هيرودس المجوس سرّا، وتحقَّق منهم ومن ظهور النجم، ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال : اذهبوا وابحثوا جيدًا عن الصبى، وعندما تجدونه أخبرونى لأذهب أنا أيضًا وأسجد له ، فلما سمعوا ما قاله الملك مضوا فى سبيلهم، وإذا النجم الذى سبق أن رأوه فى الشرق يتقدمهم حتى توَقف فوق المكان الذى كان الصبى فيه، فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدّا، ودخلوا البيت فوجدوا الصبى مع أمه مريم، فجثوْا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدَّموا له الهدايا؛ ذهبًا وبخورًا ومُرّا، ثم أوحى إليهم فى حُلم ألاَّ يرجعوا إلى هيرودس (عدو يسوع) فانصرفوا إلى بلادهم فى طريق أخرى» . [إنجيل متّى ٢/ ١ـ١٢] .

فى مثل هذا الجوّ راح سلمان رجل الدين المجوسى يُعمل عقله وقلبه، فاضطرب عقله وقلبه خاصة أنَّ المجوسية كانت منذ زمن طويل مضطربةً بين التوحيد والثّنْوية، وقد أفسدتها أكثر فأكثر الحياةُ الاجتماعية والاقتصادية السَّيئة، فترك سلمان ما كان فيه من رغد العَيْش ليلْحقَ بدين آخر : «وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشُغل فى بنيان له يوما ، فقال لى : يا بُنى، إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا اليوم ، عن ضَيْعتى، فاذهب إليها ، فاطَّلعها (أشرف عليها) وأمرنى فيها ببعض ما يريد . . . فخرجتُ

أريد ضيعته التى بعثنى إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصلّون ، وكنتُ لا أدرى ما أمرُ الناس لحبس أبى إيّاى فى بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبتُ فى أمرهم، وقلتُ: هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه (المجوسية) فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعةَ أبى فلم آتها ثم قلتُ لهم: أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبى وقد بعثَ فىَ طلبى، وشغلتُه عن عمله كله فلما جئته قال: أىْ بُنى أين كنت؟ أولَم أكُن عهدتُ إليك ما عهدت؟ قلتُ له : يا أبت، مررتُ بأناس يصلون فى كنيسة لهم، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى، ليس فى ذلك الدين خير . دينك ودين آبائك خير منه .

قلتُ له : كلاَّ والله، إنَّه لخير من ديننا (المجوسية) فخافنى أبى فجعل فى رجْلىَّ قيدًا ثم حبسنى فى بيته .

وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قَدم عليكم رَكْب من الشام فأخبرونى بهم .

فقدم عليهم ركب من الشام تجَّار من النصارى، فأخبرونى بهم، فقلتُ لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرَّجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم (أى أخبرونى) . فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبرونى بهم، فألقيتُ الحديد من رجلىَّ ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علمًا؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة . فجئته فقلت له: إنى قد رغبتُ فى هذا الدين ، فأحببتُ أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك وأصلى معك .

وهكذا دخل سلمان المسيحية، فماذا كان؟، وكيف وازن وقارن حتى انتهى به المطاف إلى الإسلام لتقرَّ به عينه وينعقد عليه قلبه ؟

***

تسابيح وابتهالات

سبحانك،
أنتَ واحد أحد فرد صمد،
لك صفاتٌ تليق بجلالك،
تعاليتَ وتساميت،
وأنت مع هذا قريب .
قريبٌ تجيب الداعى إذا دعاك .
كيف تكون متعاليًا متساميًا وقريبًا فى آن ؟
علم ذلك عندك .
لكنه فى قلبى يقين
يقين يتجلى العلم عن نُتفٍ منه شيئًا فشيئًا . . ولم يُدركه عقلى إدراكًا كاملاً حتى الآن
الأمثلة كثيرة
ولك ـ يا ربّ ـ المثل الأعلى
يقولون أصبح عالمنا فى هذا القرن قرية واحدة . . .
يخاطب الصديق صديقه ويراه،
وبينهما آلاف الأميال
بل ملايين الأميال أحيانًا .
فهما متباعدان، لكنهما قريبان .
هذا مثال، ولك ـ يارب ـ المثل الأعلى .
كيف أقول يا ربِّ،
إنك شققت بطنَك ـ سبحانك وتعاليت ـ لِتَلِدَ نورًا وظلمة .

obeikandl.com

وإنَّ الظلمة كانت ولدًا لك عصاك ،
أيعصيك ويخلق خلقًا دون إذنك . . . !
أيخلقُ وأنت الخالق؟
عبد المجوس ـ وقد ضلُّوا بعد زرادشت ـ النار .
مع أن النار يُطفئها الماء
لمّا علموا هذا بعد لأى ،
عبدوا الماء ،
قدّسه منهم خلق كثير ،
فحرموا الاستحمام والاغتسال ،
وجعلوه للشرب والزرع والطبخ لا غير .
صار الواحد منهم قَذِرًا مُنتن الرائحة ،
وجدوا الشمس نارًا .
فعبدوا الشمس ،
ألم يروا الشمس غاربةً ؟
ألم يروها ؟
فلمَ لم يقولوا : لا نحب الغاربين؟ .
سبحانك يا ربّ العالمين .
يارب كل الناس ،
فالناس ـ إذًا ـ سواسية كأسنان المشط ،
وإن كان لكلّ صاحب فضل فضله .
فلا يصلح الناس فوضى لا سُرَاةَ لهم ، لكنهم ـ مع هذا ـ سواء
ما أعْدَلَك يا ربَّ العالمين .
أصابت خزانة الملك عَجْزًا .
تقدَّم صانع أحذيةَ بعون للخزانة
ولم يطلب إلاَّ أمرًا يسيرًا .
طلب أن يُعيَّن ابنُه الذكى فى ديوان الملك .

obeikandl.com

ردَّ الملكُ المالَ لصانع الأحذية
فطبقةُ الحذَّائين ملوَّثة،
ولا يجوز أن يكون فردٌ منها فى الديوان.
فمن كان فى الديوان لا بد أن يكون أزرق الدم . . .
يا سبحان الله!
هذا الضِّيق فرّجه دينى الحنيف
فرَّجه دينك الرَّحب يا ربّ العالمين
دين اعتلى فيه بلال الحبشى الكعبة ليعلن:
الله أكبر . الله أكبر
الله أكبر . الله أكبر
اللهُ إلهُ الناس كلهم
ونبيى نبى الناس كلهم
ليس قَصْرًا على جنس
ليس لبنى إسرائيل فحسب كما فهم اليهود (يهوه)
وليس للفرس فحسب، كما حَرَّف، الفرس أهورا مزدا.
سَلْمان استعبده الظَّلَمة،
وأعتق سَلْمان فى رحاب الإسلام
مع النبى المصطفى، وعرف حريته
وأصبح أخًا لبلال وصهيب وعلىٍّ وعُمر.
اللهم احشرنى معهم يا رب العالمين.
فتلك ثُلَّة تمثل كلَّ أجناس البشر.
لا فضل لعربى على أعجمى إلاَّ بالتقوى
ضلَّ المجوس بعد زرادشت
ضاعت شريعتهم،
نكحوا المحارم،
تزوَّج الواحد منهم أمه، وأخته وابنته

obeikandl.com

نعوذ بالله . . نعوذ بالله

فالمحارم من شرع الله

والله أعلم بما حرَّم

وجاء الدين الحنيف ليصحّح الشريعة

اللهم احفظ شَرْعك من الزوال

واجعل له رجالاً يدافعون عنه ويذكِّرون .

واجعل لهم أرواحًا يَقِظة

واجعل لهم قلوبًا واعِية فالفريسيّون أماتوا الشريعة

احتفظوا بالكلمات

تغاضوْا عن الروح

فقال لهم المسيح : يا أولاد الأفاعى . .

احفظ شرعك يا ربنا

فأنت على كل شىء قدير

آمين .

آمين .

* * *

obeikandl.com

ملحق الفصل الأول

دراسة أعدّها المستشرق زينر عن الزرادشتية (المجوسية) نشرها في «موسوعة الأديان الحية ـ Encyclopedia living faiths» ترجمها مؤلف هذا الكتاب وعلق عليها.

تكاد ديانة زرادشت Zoroaster تتلاشى الآن من فوق ظهر البسيطة (الأرض). وربما لا يزيد عدد معتنقيها الآن على ١٢٠,٠٠٠ نفس. فلماذا ـ إذًا ـ كان يجب إدراجها فى مجلدنا هذا المخصص لأديان العالم الكبرى الحيّة؟

إن الزرادشتية ـ مثلها فى ذلك مثل اليهودية ـ كانت ديانة وطنية (خاصة بشعب بعينه)، أو كانت أقرب ما تكون إلى ذلك: فمن القرن الثالث إلى القرن الخامس للميلاد كانت الزرادشتية هى ديانة الإمبراطورية الفارسية. وعلى أية حال فعندما وهنت هذه الإمبراطورية قبل اجتياح المسلمين لها، فقدت الزرادشتية وضعها المميّز فى بلادها الأصلية وأصبحت ديانة الأقلية بالكاد، وعبر القرون هاجر عدد من معتنقى الديانة القديمة إلى الهند المتسامحة وكونوا مجتمعًا من الفرس يحظى بالرخاء والاحترام، وتقلَّصت الزرادشتية بالتدريج من حيث عدد معتنقيها إلى قلة، كما كان وضعها عندما بدأت.

وعلى أية حال فأهمية الزرادشتية ـ مثلها فى ذلك مثل اليهودية. . ليست فى عدد معتنقيها، وإنما الأكثر أهمية هو فى تأثيرها على الأديان الأخرى ـ خاصة تأثيرها على المسيحية، من خلال وسيط نعنى به اليهود الذين تم نفيهم فى بابل Babylonia، أولئك اليهود الذين بدوا متشرِّبين للأفكار الزرادشتية، والمسيحية تدعى أنها الوارث لأنبياء

إسرائيل، فإذا كانت هناك أية صحّة فى هذا الزعم، فالمسيحية أيضًا وارثة لنبى إيران القديم بدرجة لا تقل عن إرثها لأنبياء إسرائيل، رغم أن عددًا قليلاً من المسيحيين هم المدركون لهذه الحقيقة.

النبى

الزرادشتية من أديان النبوّات، ومؤسسها هو زرادشت Zaroaster ويُكتب أحيانًا Zarathushtra وكان نبيًا أو على الأقل ادَّعى هو ذلك. لقد تحدث إلى الله وجهًا لوجه، ولم يستطع الباحثون حتى وقت قريب، أن يحددوا الزمان والمكان اللذين بث فيهما زرادشت دعوته، وعلى أية حال، فحديثًا، بدا أن الباحثين توصلوا إلى اتفاق مؤداه أنه ليس هناك من سبب يجعلنا نرفض التاريخ الذى حدده الزرادشتيون أنفسهم وتناقلوه ـ تقليديًا ـ جيلاً بعد جيل، فالزرادشتيون يحددون أن نبيهم ظهر قبل ٢٥٨ سنة من الإسكندر» «والإسكندر» بالنسبة للفرس (الإيرانيين) يعنى انتهاء الإمبراطورية الفارسية الأولى وموت آخر إمبراطور (ملك الملوك) وهو داريوس الثالث. وقد حدث هذا فى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد؛ لذا فإن فترة زرادشت لا بد أن تكون فى سنة ٥٨٨ قبل الميلاد، وهذا التاريخ الآنف ذكره يمكن استخدامه للإشارة إلى بداية البعثة النبوية لزرادشت، عندما كان فى سن الثلاثين وهى السن التى قيل إنه تلقى فيها الوحى للمرَّة الأولى. والرواية التقليدية تذهب إلى أنه عاش سبعًا وسبعين عامًا، فلا بد إذًا أنه كان موجودًا فى الفترة من٦٢٨ إلى ٥٥١ ق.م، والمنطقة التى أعلن فيها رسالته ربما كانت هى منطقة كورازميا أو خورازميا Chorasmia القديمة ـ وهى منطقة تكوّن الآن ما هو معروف بخُراسان الفارسية وأفغانستان الغربية وجمهورية تركمانستان (التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى السَّابق).

أما عن النبى زرادشت نفسه فلا نكاد نعرف عنه شيئًا موثقًا، فهو لم يحقق نجاحًا فى بلده وأجبر على الفرار (yasna 46,1) بحثًا عن أمير قد يحميه ويقبل دينه. وقد وجد هذا الأمير بالفعل فى ڤشتاسبا Vishtaspa ، وربما كان حاكمًا ذا سلطة عليا فى خورازميا، وفى ظل حماية هذا الحاكم أصبحت الزرادشتية قادرة على ترسيخ نفسها.

ويسمّى الكتاب المقدس للزرادشتية بكتاب «**الأفستا ـ** Avesta » **ولم** يبق منه إلا أجزاء فى يومنا هذا. وبصرف النظر عن الشذرات، فإن هذا القسم الباقى يضم ثلاثة أجزاء رئيسية ـ «الياسنا ـ yasna » التى تضم الطقوس (الليتورجية) و «الياشتس ـ yashts » أو ترانيم الأضاحى المقدمة لبعض الآلهة deities أو الملائكة، و«الڤيديڤادات ـ Videvdat» أو «الشريعة ضد الشياطين ـ Demons » المخصصة أساسًا لأمور الطهارة الطقسيّة. وفى الياسنا ـ النص الطقسى الكبير ـ أدرجت سلسلة من (الجاثاس ـ Gathas) ـ الأغانى أو الترنيمات أو التراتيل ـ وما دامت هذه قد كتبها زرادشت نفسه، فهى ـ بالتالى ـ مصدرنا الرئيسى أو بالأحرى الوحيد للعقائد التى دعا إليها.

كل الأديان الحية عرضة للتغير والتوسع والنمو، لكن القليل من الأديان هى التى عرفت تقلبات كالتى عرفتها الديانة الزرادشتية. إنه ليبدو أن الإنجاز الكبير لهذا النبى الإيرانى أنه أزال كل الآلهة القديمة من الهياكل المكرسة للآلهة الفارسية، ولم يبق إلاَّ على أهورا مزدا Ahura Maz dah « الرب الحكيم ـ Wise Lord» كإله واحد حق، وكان هذا التوحيد هو محور عقيدته، مع أنه بعد موته بوقت غير بعيد ظهرت كثير من الآلهة أو الأبواب القديمة متَسللة إلى نظامه الدينى، ومع أن هذه الآلهة عندما عادت لم تَتَحدَّ أبدًا تفوق أهورا مزدا وسيادته، إلاَّ أنها ـ مع ذلك ـ سادت كموجودات معبودة yazatas ـ كالملائكة ـ إن أردت ـ التى غالبًا ما وصلت إلى درجة كادت فيها تحل محل الإله وتسلبه مهامه. ومرة أخرى، عندما أصبحت الزرادشتية هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الفارسية الكبرى الثانية (الإمبراطورية الساسانية)، وجدنا نوعين من الزرادشتية جنبًا إلى جنب، زرادشتية ثنويّة تمامًا neatly dualist ترى أن مبدأ الشر منفصل عن أهورا مزدا، لكنه ـ أى مبدأ الشر ـ مشارك لأهورا مزدا فى الأزلية Co- eternal ، والزرادشتية الثانية توحيدية متردّدة tentatively monotheistic ظهر فيها زمن لا نهائى كانت فيه الأصول الغامضة لكل الأشياء، ومن هذا الهيولى الغامض انبثق مبدآ الخير والشر. وربما لم يكن أى من هذين النظامين الدينيين يمثل التعاليم الموثقة أو المعتمدة التى نادى بها زرادشت، فما هى إذًا تعاليم زرادشت الأصلية؟.

obeikandi.com

تعاليم زرادشت فيما يتعلق بالله

كان زرادشت نبيّا ـ يتحدث إلى الله، ويصغى بانتباه إلى إجاباته. إنه «النبى الذى رفع صوته فى مهابة ووقار، إنه صديق الحق the friend of truth » (yasna,50,6) «صديق الله» (yasna,46,2) «العدو الحقيقى لأتباع الكذب Lie، القوى الذى يؤيد أتباع الحق» (yasna,43,8) وباعتباره مختاراً؛ لذا فهو يعمل ما يختاره الله له. فقد راح زرادشت يهتف «آه يا ربى الحكيم، زاراتوشترا» Zarathushra هنا يختار المرء لنفسه روحك the spirit التى هى الأكثر قداسة»، فالعلاقة إذًا بين الله وهذا النبى علاقة فيها حرية، فزرادشت لم يكن مجبراً، على نحو ما كان أنبياء العبرانيين فى بعض الأحيان، فالأقرب إلى الفهم أنه رأى قداسة ربه، وحالما رآها، اختارها. فى هذا التبادل الحُر بين الله ونبيه تنعكس العلاقة العامة بين الله والجنس البشرى. فالإنسان فى الزرادشتية ليس كما هو الحال فى اليهودية والإسلام خادمًا لله أو عبدًا له servant or a slave، وإنما هو إنسان حُر، سيد ذو حرية عظيمة يختار بمقتضاها بين الخير والشر. هذا هو الموقف الدينى الذى واجه به زرادشت مستمعيه. وعلى هذا، فإذا كان الإنسان واعيًا بحريته فى أن يختار، وواعيًا بمسئوليته الكبيرة الناتجه عن حريته فماذا فعل النبى (زرادشت) ليطرح فهمه للخير والشر ؟ الإجابة الموجزة عن هذا هى أنه فهم (الخير) على أنه ما أوحاه الله إليه ـ دين جديد ـ لا يعترف إلاَّ بإله واحد هو أهورا مزدا ـ أما بالنسبة للشر، فالدين الفارسى القديم الذى اعترف بتعدد الآلهة التى استمرت فيما بعد فى الزرادشتية رغم تحذير نبيها، وكذلك استمرت الممارسات الدموية (المقصود تقديم الأضاحى) التى يبدو أن هذا الدين (القديم) كان يشجعها. ولا نعرف عن هذا الدين القديم (السابق على الزرادشتية) إلا من خلال التّهم التى كالها زرادشت له، وذلك من خلال نصوص البيج ثيدا Big Veda (p,226) التى كانت هى الكتاب المقدس للفرع الهندى للأسرة الهندية الإيرانية، وأيضًا من قسم الياشتس yashts فى الأڤستا (كتاب الزرادشتية المقدس) نفسها التى ورد فيها أن بعض الآلهة الهندية الإيرانية القديمة قد استثيرت بسبب الحقيقة التى مؤداها أن النبى (زرادشت) إما أدانها وإما أطاح بها إلى عالم النسيان. ومن أقدم النصوص الهندية والإيرانية يتضح أن الشعوب الإيرانية الهندية المتحدة اعترفت بطبقتين من الآلهة: الأسورا أو الأهورا Osuras or ahuras من ناحية، والديڤا devas or daevas من

ناحية أخرى. هذان النوعان المختلفان من الآلهة لكل نوع منهما قَدَر أو مصير فى إحدى الحضارتين يختلف عن قدره أو مصيره فى الحضارة الأخرى: ففى حين نجد الأسورا asuras فى الهند قد تم تقليص دورهم بالتدريج إلى وضع الشياطين[1] demons، فإن الديڤا Devas هى وحدها التى احتفظت بألوهيتها (بقداستها)، فإننا نجد فى إيران الأهورا Ahuras قد احتفظت بشخصية إلهية (قدسية) والديڤا Devas تقلص دورها إلى الشيطنة demonhood لقد كان زرادشت نفسه ـ أو هكذا يجب أن نفترض ـ هو الذى أنزل الديڤا من فوق عرشها تمامًا، وهو الذى احتفظ من بين كل الأهوار، بأهورا مزدا وحده ـ أهورا مزدا الرب الحكيم Wise Lord كإله واحد حق.

وعلى هذا فالديڤا Devas خاصة التى هاجمها زرادشت ليست أهورا، فقد فضّل تجاهلها جميعًا فيما عدا فى مرة واحدة عندما قال: «الحق Truth هو الذى يجب أن نتضرع إليه، والواحد الحكيم The Wise One والأرباب الأخرى ohter (الأهورا ahuras)» (yasna,31,4)، وبناء على ذلك يمكن أن نصف زرادشت بأنه كان موحدًا رغم أنه بالتأكيد لم يزح الأرباب الأخرى بعيدًا عن الرب الحكيم، ـ وسنتناول ثَنْويته هذه فيما بعد. وفى كل الاحتمالات فقد كان يعتبرها من مخلوقات الله وأنها تحارب إلى جانبه ـ أى إلى جانب الله. وفى كل الأحوال ركز زرادشت كل ثقل هجومه على الديڤا Devás وعلى عابديها الذين يمارسون طقوس أضحيات دموية وكانوا أعداء للمجتمع الريفى المستقر الذى كان هذا النبى ينتمى إليه.

لقد كان زرادشت نبيًا، ويميل الأنبياء إلى رؤية الأشياء إمّا سوداء وإما بيضاء، فقد كان يرى الحقّ والصّلاح asha فى جانبه وليس عند الآخرين سوى الكذب Lie (druj) لقد كان مجتمعه مجتمع مزارعين مستقرين يميل إلى نظام العشيرة kine ويوقرها، وكان أعداؤه من غير المزارعين (yasna,3,10).

هذا النضال بين مجتمع ريفى يتمثل ثراؤه فى الماشية من ناحية، ومجتمع قبلى قائم على النهب يُغير على رعاة قطعان الماشية المستقرين من ناحية أخرى ـ كوّن الخلفية الدائمة لدعوة زرادشت. فالمستقرون (المجتمع الريفى مالك قطعان الماشية) يمثّل «الحق

(١) ديمون فى القواميس الإنجليزية الغربية تعنى شيطانًا أو روحًا حارسًا، أو نصف إله فى الميثولوچيا اليونانية.

والصلاح». والمجتمع الثانى (القبائل المغيرة) تمثل «أتباع الكذب»: ولم يكن من الممكن أن يحل السلام أو الوفاق بين الطائفتين إلاَّ إذا تخلّت إحدى الطائفتين عما هى عليه «فمتّبع الكذب مدين بسبب أعماله ومُستنكَر (بفتح الكاف)، وقد يمنع مؤيدى الصلاح من جعل عشيرتهم تنعم بالرخاء فى بلادها أو أرضها، فكل من ينتزعه من سلطانه أو حياته سوف يمهد الطريق للعقيدة الطيبة» (yasna,46,4) وبالنسبة لزرادشت لا مجال لفعل خير مع واحد من الأعداء، فالأمر بالنسبة له كما هو بالنسبة لليهود عندما دخلوا «أرض الميعاد». فإذا لم يتحولوا ـ أى الأعداء ـ للزرادشتية، فلا بد من مهاجمتهم «فذلك الذى يفعل الشر بالكلمة أو بالفكر أو بيديه مهاجمًا أتباع الكذب أو يحوّل رفيقه إلى طريق الصلاح ـ إنما هو شخص ينفذ إرادة الرب الحكيم Wise Lord وَيسُرّه» (yasna,33,2) فلا بد من مواجهة أتباع الكذب (الضلال) بكل سلاح.

فالأشا والدروج Asha and druj، الحق والضلال، الصلاح وأتباع الشر، والنظام والفوضى ـ كل أولئك هى المتضادات فى جاثا زرادشت Gathas of Zoroaster. إنها تنطبق على كل مجالات النشاط سواء أكانت بشرية أم كونية أم إلهية (مقدسة). ولم يبتدع زرادشت هذا الفصل الأساسى، ما دام أنه ـ أى هذا الفصل ـ ظهر فى التراث الهندى أيضًا، ولكنه صحّحه بأن جعله فى الواجهة الأمامية لفكره وجعله أساسًا لمجمل نظرته للكون. ويَتَجلّى هذا التناقض الأساسى على الصعيد الاجتماعى الخالص فى التناقض بين المجتمعات المستقرة من ناحية، والبدو الذين لا يحكمهم قانون Lawless من ناحية أخرى. وعلى الصعيد الدينى يتجلى فى الحاجز الذى لا يمكن عبوره والذى يفصل بين دين الحق Trurh الذى أوحاه الرب الحكيم لنبيه ـ من ناحية ـ والدين التقليدى للجنس الإيرانى الذى ـ كما لا بد أن أتباعه يزعمون ـ توارثوه منذ عهود سحيقة وأسسه الجد الأعلى لجنسهم الإيرانى ـ ييما Yima ابن ڤيڤاهڤانت Vivahvant ـ وييما هذا هو ابن الشمس. فهذا الدين القديم دين فاسد، ولم يتوان زرادشت عن مهاجمة حتى هذا الجد الأعلى نفسه ـ ييما، الذى كان قد أدخل نظام الأضاحى بالحيوانات وما صاحبها من طقوس غير ملائمة، لذا فقد أعلن زرادشت أنه «بين هؤلاء الخطاة كان ييما بن ڤيڤاهڤانت، ييما الذى قدم لشعبنا لحم الثور ليأكلوه، ليسر بذلك الرجال الأموات، آه من هذا يا ربى الحكيم. إننى أفوض الأمر إليك» (Yasna,32,8) «فأتباع الضلال هم أولئك الذين يحطمون الحياة» و «ينهبون أقصى ما

يستطيعون ليحرموا الزوج والزوجة من ميراثهما، وقد يسلبون أتباع الحق العقل (أو النفس) الطيب Good mind» (Yasna,32,11). وهم من جانبهم اعترفوا بالخطر الذى يمثله هذا النبى عليهم، وعملوا جهد الطاقة لتحطيمه، ولهذا الغرض استمروا فى تقديم الأضحيات من الثيران وما صاحبها من عصير الهوما المتخمر Hoama Juice وهى شعيرة كانوا يمارسونها من عهود سحيقة. وبالنسبة لزرادشت، كانت الأضحيات الدموية والشراب الطقسى، حرامًا ـ إنها طقوس تقدم لآلهة زائفة وبالتالى فهى كذب (ضلال Lie). «إلى متى يتسامح الرب الحكيم مع هذه الممارسات؟» هكذا تساءل زرادشت متعجبًا. «متى سيأتى المحاربون ليفهموا رسالتى؟» هكذا تساءل، «متى يارب ترطم أوانى هذا الشراب الذى يضل به الكهنة شعبك، كما يفعل الحكام الشريرون وهم على وعى كامل بما يفعلونه من شر؟» (Yasna,48,10).

وعلى هذا، فعلى الصعيد الدينى نجد أن العَدُو هو الديانة الوثنية القديمة old pag-on التى يجب أن تُقتلع من جذورها تمامًا لصالح الديانة الجديدة، ديانة الحق والصلاح. ولا بد أن يختار كل إنسان لنفسه جانبًا من هذين الجانبين أو دينًا من هذين الدينين (Yasna,30,2) كما فعل النبى وحدد اختياره علنًا بالانتماء إلى أكثر الأرواح قداسة Most Holy Spirit (Yasna,43,16) روح أهورا مزدا.

فالحق والضلال (الكذب Lie) والصلاح وعكسه، والخير والشر، والاختيار الذى لا بد أن يمارسه الجميع بين كليهما ـ نجد أنفسنا عند الحديث عن الزرادشتية نعود دائمًا إليها فالله نفسه بروحه ذات القداسة العليا يجب أن يختار، وبهذا نصل إلى أهم قضية فى الثنوية الزرادشتية. إلى أى مدى كان زرادشت ـ فى الحقيقة ـ ثنويًا؟ وإلى أى مدى سار فى طريق تدعيم فكرته عن الرب الحكيم ـ أهورا مزدا ـ أى الحد الذى يجعل الشر لا يمكن أن يطوله؟ دعنا ندرس النصين الثنويِّين الحاسمين.

النص الأول يصف الروحين البدائيتين Primeval (اللتين وجدتا منذ البداية) واللتين لا يمكن أن تتفقا أبدًا. لقد أعلن النبى زرادشت: «إننى سوف أتكلم بوضوح فيما يتعلق بالروحيْن اللتين ـ منذ بداية الوجود ـ تحدث الأقدس Holier وذكر أيّا منهما شريرة: إنه لا أفكارنا، ولا تعاليمنا ولا إرادتنا ولا اختيارنا ولا كلماتنا ولا أفعالنا ولا إيماننا ولا حتى أرواحنا تقبل (ما هو شرير)» (Yasna,45,2) أو كما ذكر

النبى فى موضع آخر : «فى البداية كان الروحان التّوْأمان الموقوفتانwell- endowed (؟) معروفتين : روح طيبة وروح شريرة، فى الكلمة والفكر والعمل، والعقل يختار الخير أو الطيب ولا يفعل الغبى ذلك، وعندما التقت الروحان كوّنتا فى البداية الحياة والموت، وفى النهاية كان ينبغى للشر أن يلتقى بالوجود السيئ أو الأسوأ، وأن يلتقى العدل Just بأفضل النفوس The Best Mind ومن هاتين الروحين Spirits من كانت على ضلال تختار أن تفعل أسوأ الأشياء، ولكن الروح الأكثر قداسة The Most Holy Spirit المتدثّرة فى السماء المتجهمة اختارت الصلاح أو الحق كما يفعل كل أولئك الذين يعملون بحماس لفعل ما يرضى الرب الحكيم Wise Lord بإتيانهم أعمالاً صالحة»، لكن «بين هاتين الروحين فإن الآلهة القديمة (الديڤا daévas) لم تختر الخيار الصحيح، فقد قهرها الضلال لذا فقد اختارت أكثر النفوس شرّا Most Evil Mind، واتفقت النفوس الشريرة فاندفعت بحماقة فى طريق عقاب الله (فى الطريق الذى يعذب الله من سلكه) wrath وميزوا (اختاروا) distinguish (؟) وجود الإنسان الميت» (yasna,30,3-6).

إننا نجد هنا التراجيديا البدائية (الأولى) فى الزرادشتية، تقابل (أو تناظر) العقيدة المسيحية فى الخطيئة الأولى أو الأصلية Original Sin . فالزوجان الأوليان (الأساسيان) يلتقيان، الروح القدس Holy Spirit والروح الشريرة Evil ، بل إننا نرى كما هو ظاهر أن قداسة الروح القدس، وشر الروح الشريرة كانا بالاختيار choice أكثر مما كانا بحجم طبيعة nature كل منهما . فالروح القدس هى أكثر الأرواح قداسة فى أهورا مزدا (Yasna,43,16) لكنها ليست هى نفسه (ليست أهورا مزدا نفسه)، هذا يعنى أن كلتا الروحين : الروح القدس، والروح الشريرة قد انسابتا أوخرجتا من أهورا مزدا، الرب الحكيم الذى هو الله[1]. يبدو إذًا أن زرادشت مؤسس الزرادشتية التى ينظر إليها بشكل عام كنموذج تقليدى للدين الثنوى لم يكن هو نفسه ثنويّا dualist إذا كنا نقصد بهذا المصطلح ذلك الشخص الذى يؤمن بمبدأين وُجدا منذ البداية، لا مبدأ واحد، ويجعل مبدأ الشر متداخلاً مع الله ومستقلاّ عنه أو بتعبير آخر متداخلاً مع الله منذ الأزل ومستقلاّ عنه فى الوقت نفسه . ومن ناحية أخرى فإن التوحيد عند زرادشت

(١) أو بالتعبير المسيحى : الأب .

لم يذهب إلى الحد الذى يُعزى (بضم الياء) فيه الشر للّه بشكل مباشر، فإله زرادشت لا يمكن أن يقال له: «أنا الرب وليس آخر مصوّر النَور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه» [أشعياء/ ٤٥/ ٧]، كما قال يحيى لأشعياء الثانى Second Isaiah، فمثل هذه الفكرة بالنسبة لزرادشت قد تبدو كفرًا أو تجديفًا لأن الله بالنسبة له قد أظهر ذاته كموجود ذى سلطان وأنه خيْر خالص powerful and all good.

لقد رأينا الروح القدس والروح الشريرة يشار لهما كتوأمين twins وأن أهورا مزدا يسمَّى الأب the Father بالنسبة للروح القدس، وبمنطق مباشر مستقيم كان لا بد أن يكون هو أيضًا (الله أو الأب) أب الروح الشريرة، إلا أن زرادشت ـ على أية حال ـ كان نبيّا ولم يكن لاهوتيّا، والأنبياء فى فهمهم المباشر للألوهية، يعوِّلون على ترك كل الأمور المرنة (غير المحدّدة) Loose ليتناولها اللاهوتيون بعد ذلك بالضبط والحبك والترتيب.

وكان اللاهوتيون ـ حقيقة ـ أكثر تعاملاً ودراسة لهذه النصوص كما سنرى، ولم يبد أنهم اتفقوا بشأنها إلاّ فى أواخر الدولة الساسانية وبداية الحكم الإسلامى. وعلى أية حال، فيبدو أن عقيدة زرادشت كانت هى الإيمان بأهورا مزدا كإله أعلى Supreme God «ولد generated» روحين.

إحدى الروحين اختارت الصلاح، والروح الأخرى اختارت «فعل الأمور المستقبحة»، فكانت الروح الثانية ـ إذًا ـ شريرة بالاختيار لا بحكم طبيعتها، ومن هنا كان تركيز زرادشت على حرية الإرادة التى لم يستطع حتى الله أن يتجنبها.

وأهورا مزدا نفسه لا بد أنه ـ بفعل الإرادة ـ اختار الخير كمناقض للشر.

«الأسرة والقرية والقبيلة، والديڤا (الآلهة الصغيرة) godlets (the devas) نفسها، مثلى، تطلب البركة من الرب الحكيم قائلة: دعنا نكون رسلك لنحاصر أولئك الذين يكرهونك. فالرب الحكيم يتحد مع النفس الطيبة Good mind ويكون فى صحبة وثيقة مع الحق Truth، وقدم الإجابة من مملكته: فلنختر ما هو مقدس وطيب، وصحيح النفس، دع ذلك لنا أيها الرب الحكيم.» (Yasna,32,1-2)

هنا نجد الله نفسه ممثلاً وكأنه يقوم باختيار كبير بين الخير والشر، ويتحد مع النفس الخيّرة (الطيبة) ويكون على علاقة وثيقة بالحق أو الصَّلاح، فالله يختار الطيب (الخير) ويدين تمامًا الدين القديم الذى يعتبرونه مطابقًا للشر.

وراح زرادشت يبدى دهشته: «لكنكم أنتم أيها الآلهة (غير أهورا مزدا) ومن يضاعف أضحياته من أجلكم، فأنتم جميعًا تقوِّمون بذور النفس الشريرة the Evil mind، والضلال والغرور، أشاكون أنتم فى أن أعمالكم، التى أنتم مستعبدون بسببها فى سبع الأرض، أنكم قمتم بهذه الأعمال لأن المرء الذى يفعل ما هو الأسوأ لا بد أن يقول إنه فعل ذلك لإرضاء الآلهة (غير أهورا مزدا) ؟ـ فالناس الذين يتركون النفس الطيبة Good mind ينشقُّون عن إرادة الرب الحكيم وعن الصلاح (طريق الخير)؛ ولذا أترغبون فى سلب الإنسان حياته الطيبة وخلوده، تمامًا كما سلبتكم الروح الشريرة نفوسكم الخيرة؟ وإن كنتم أربابًا (آلهة) فما ذلك إلاّ بفعل النفس الشريرة Evil mind التى تعد أتباع الضلال Lie بالهيمنة والسلطان مستخدمة كلمات شريرة» (yasna,31,3-5)

إن العلاقة بين الله، والروح الشريرة أو الشيطان تبدو هنا واضحة، لأن الآلهة القديمة daévas هى نفسها تبدو مقتربة منه متضرعة متوسِّلة، وبالتالى فهى تعرف هيمنته وسلطانه supermacy، لكنها كانت قد اختارت بالفعل وحددت طريقها بأن تكون أرواحًا شريرة Evil one. لقد كان الاختيار من البداية خاطئًا. وعلى أية حال فحقيقة أن هذه الأرواح أو الآلهة الصغيرة لا بد أن تقترب من أهورا مزدا تشير إلى أنها تدرك أنه الحكم الأعظم الذى لا بد أن تتبعه حتى الروح الشريرة (الروح الشريرة هى أهريمن Ahriman بالنسبة للزرادشتية فى مرحلة متأخرة)

لقد أثرت الزرادشتية بعمق فى العقيدة اليهودية كما ظهرت فى وثائق البحر الميت Dead Sea Scrolls ويتجلّى هذا التأثير بوضوح فى دليل النظام Manual of Discipline فهنا نجد نوعًا من الثنوية يكاد يكون مطابقًا على نحو ما لفكر زرادشت، أكثر من مطابقته للثنوية الزرادشتية المتأخرة زمنًا. لكن الفكرة ـ بطبيعة الحال ـ قد ألبِسَت لبوسًا يهوديّا، لكنها مع هذا مطابقة لفكرة زرادشت.

فنحن نقرأ فى وثائق البحر الميت أن «الله خلق الإنسان ليسيطر على العالم وجعل له روحين two spirits ليسير بهما حتى الوقت المحدد لحسابه his visitation ، إنهما روح الحق truth وروح الضلال أو الخطأ error، ففى مسكن النور توجد أصول الحق، ومن منبع الظلام توجد أصول الخطأ أو الضلال error . . . وبفعل ملك angel الظلام يكون ضلال كل أبناء الصلاح . . . وكل الأرواح التى هى من نصيبه تحاول أن تكون من أبناء النور لكنها تضل الطريق stumble، لكن رب إسرائيل ومَلك الحق angel of truth ساعدا كل أبناء النور. لأنه هو خالق أرواح النور وأرواح الظلمة وأوْكل إليهما إيجاد كل عمل، ووفقًا لطريقتهما تجرى الأمور، وإحدى الروحين يحبها الله طوال العصور ومنذ الأزل، وبأعمالها «الروح» يُسر إلى الأبد، أما الروح الأخرى فهى ملتصقة به he adhors its company، ويكره كل أعمالها إلى الأبد» (انظر : Millar Burrows, the Dead Sea Scrolls, 1956,p374).

هنا نجد فى النص أن الموقف اليهودى قد أعاد تكرار فكرة الزرادشتية عن انبثاق روحين من الله، تكرارًا حرفيّا أو بتعبير آخر تكرارًا كاملاً exact. وعلى أية حال، هناك فرق حاسم واحد، ففى الاعتبار اليهودى نجد الله قد خلق الروح الشريرة، ومع أنه خالقها فهو يكره كل أعمالها، وهذا تناقض منطقى صارخ. وعلى أية حال، فالأمر بالنسبة لزرادشت ينطوى على أن الروح الشريرة منبعثة من الله، مع عدم وجود نص واضح على ذلك، لكن عند زرادشت فكرة أخرى وهى أن الروح الشريرة كانت شريرة باختياره ولم تُخلق فى الأساس شريرة، فكما فى المسيحية أنها هبة من الله أن يكون الإنسان حُر الإرادة وأنه ـ أى الإنسان ـ بإساءته استخدام هذه الحرية جلب الشر للعالم.

كيف ـ إذًا ـ فهم زرادشت ربه؟ إنه أهورا مزدا الرب الحكيم : «خالق كل شىء بواسطة الروح القدس» فقد التقينا بهذه الروح القدس قبل ذلك. . . ورأينا كيف دخلت فى صراع مع الروح الشريرة فى بداية الزمن وعلى أية حال، فبالنسبة لزاردشت فإن الروح القدس ليست هى الرب الحكيم رغم أنها حقيقة كان تسمى فى وقت من الأوقات ابنة الرب (Yasna,47,3) وعلى هذا فالاثنتان على نحو ما واحد كما فى التثليث المسيحى، وقد أكدت الزرادشتية المتأخرة (بعد زرادشت) كونهما واحدًا.

وولادة «the generation» الروح القدس ولادة روحية أو عقلية بالضرورة؛ لأن الله روح خالص ويدير أمور العالم من خلال أرواح أخرى هى فى الوقت نفسه ـ بطريقة ما ـ مماثلة له (ربما كان المعنى: من الجوهر نفسه ـ المترجم) وبالإضافة إلى الروح القدس هناك أيضًا «النفس الطيبة أو العقل الطيب ـ Good Mind» أو الصّلاح أو الحق وهذه النفس الصحيحة Right _ mindedness يُعزى أبوّتها أيضًا للرب الحكيم أى أنها ابنة الرب أو ابنة الله Yasna» (47.2 و 45.4 و 44.3 و 31.8)، وهؤلاء الأبناء لله أو للرب الحكيم هم فى الوقت نفسه جوانب aspects منه، أو قوى يعمل ـ أى الرب الحكيم ـ من خلالها (دعنا نقول إنها أقانيم منه فالمعنى واحد ـ المترجم). وتشبههم ثلاث كينونات entities أخرى ـ «الملكوت ـ kingdom» و «الكلية ـ wholeness»و «الخلود ـ Immortality» والأخيرتان يُنظر إليهما على نحو أكثر باعتبارهما منحة من الله للإنسان. وفى الزرادشتية المتأخرة زمنًا صارت هذه الكينونات «رؤساء ملائكة archangels» منفصلة عن الرب الحكيم وهى من مخلوقاته، لكن فى الجاثا Gathas الآنف ذكرها لا نجد الأمر كذلك، وإنما الأقرب أنها كائنات أو كينونات يعمل الرب الحكيم من خلالها أو بتعبير آخر يحقق إرادته من خلالها.

والرب الحكيم كُلِّى القدرة لأنه «يحكم وفقًا لإرادته (Yasna,43,1) وهو خالق كل شىء (Yasna,44,7) وبواسطته يفكر خلقه فى الخلق أو الوجود (Yasna,31.7,11) and his creation is thought by him into existence . . . وكما رأينا، لقد اختار الصلاح وأدان الشر تمامًا، لأن الشرّ كما رأينا، بالاختيار، فالله يعاقب مخلوقاته (البشرية والروحية) وفقًا لاختيارها السيئ ويجازى بالخير من يختار الخير (انظر على سبيل المثال Yasna,45.7) ذلك أن الله خلق الخلق حُرَّ الإرادة ومسئولاً عما يعمل. وفى أسئلة متوالية يوضح لنا زرادشت صورة بهية جميلة لإلهه: «هذ ما أسألك يا إلهى، فأجبنى بما هو حق: من هو الأول، أبو الصلاح الذى ولده ـ أى الأول الذى (ولد) الصلاح؟ من هو إذا لم يكن أنت الذى من خلاله يتعاظم القمر أو يصبح محاقًا؟ آه أيها الرب الحكيم الواحد Wise One، إننى أعرفك أنت، وأشياء أخرى إلى جانب ذلك. عن هذا أسألك أنت يا رب، فأجبنى بما هو حق: مَنْ جعل الأرض أسفل منا والسماء أعلانا ولا تسقط؟ من جَعَل المياه والنباتات؟ who the waters and the plants? من يكبح جواد الريح والسحب؟ من يا أيها الرب الحكيم الواحد Wise One

هو خالق النفس الطيبة Good Mind ؟ هذا ما أسألك عنه يا إلهى فأجبنى بالحقيقة : من الصانع الحكيم الذى صنع النور والظلمة؟ والنوم واليقظة؟ من جعل الصبح والظهيرة والليل ليجعل الإنسان حكيمًا واعيًا بأعماله؟ هذا ما أسألك عنه يا ربِّ فأجبنى بالحقيقة : من خلق النفس الصالحة Right _ mindedness موقرة مع الملكوت Domin-ion؟ من جعل الابن مطيعًا فى روحه لأبيه؟ فلتعترف لى يا رب بهذه العلامات أنك خالق كل شىء من خلال الروح القدس . إننى سأساعدك I go to help thee » . (Yasna,44.3-5,7)

ولنوجز ما أسلفناه، بالنسبة لزرادشت ليس هناك إلاّ إله واحد خالق السماوات والأرض وكل الأشياء، ومن حيث علاقته مع العالم فإن الله (يعمل acts) من خلال «كلياته أو كينوناته faculties» التى يجعلها ـ فى بعض الأحيان ـ تتحدث كموجودات ولدها أو بعثها engendered ـ الروح القدس، والصلاح، والنفس الطيبة Good Mind والعقل السوى أو «النفس الصالحة ـ Right-mindedness» وأكثر من هذا فهو سيد الملكوت والكلية والخلود التى تشكل أيضًا جوانب من ذاته (ذات الله)، فالصلاح أو الحق هو المعيار النمطى أو الموضوعى للسلوك الصحيح (السَّوى) الذى اختاره الله، وهو ضد الكذب Lie، أو الضلال، أو الشر، أو الغموض الذى هو ـ فى المقابل ـ المعيار الموضوعى لكل من يحارب الله، وهو الخيار الذى اختارته الروح الشريرة منذ بداية الوجود . والشر يقلد الخلْق الطَّيب، لذا فنحن نجد الروح الشريرة تعمل ضد الروح القدس، والنفس الشريرة أو العقل الشرير Evil Mind تعمل ضد النفس الطيبة أو العقل الطيب، ونجد الكذب أو الشر يعمل ضد الصدق والصلاح ونجد الغرور يعمل ضد النفس الصالحة (المطمئنة) والشر مشتق من الاختيار الخاطئ من كائن حُر هو بمعنى من المعانى مشتق من الله، لكن بسبب شره لا يمكن أن يكون الله مسئولاً عما يفعله . فأنجرا مينيو أو أهريمن Angra Mainuo or Ahriman ـ الشيطان ـ ليس حتى أزليّا مع الله؛ إذ إنه لم يوجد إلاّ فيما بعد أى بعد وجود الله : إنه ـ أى الشيطان ـ خصم Adversary للروح القدس وحدها، وليس لِلَّه نفسه .

تعاليم أخرى

تعكس تعاليم زرادشت الوسط الذى عمل فيه ـ ذلك الوسط الذى كان فيه

المستقرون من رعاة الماشية فى حرب دائمة ضدَّ البدو الذين كانوا يقومون بغارات للسلب والنهب. وكان دين زرادشت مرتبطًا بالفئة الأولى (رعاة الماشية المستقرين)، ضد الدين التقليدى الذى قدم الأضحيات للآلهة الصغرى أو الديڤا Daévas ـ الذى اعتنقته ـ الفئة الثانية. وكان زرادشت فى الأساس مهتمّا فيما يبدو بتأسيس مملكة الصلاح والتقوى (ملكوت الصلاح والتقوى) هنا على ظهر البسيطة. ومن هنا أتى تقسيمه للمجتمع البشرى إلى «أهل الحق» و «أهل الكذب أو الضلال» يعكس ما هو موجود فعلاً من أمور المجتمع الذى عاشه، ومن هنا انطلقت أفكاره المتعلقة فيما بعد الحياة من موقف أرضى أو دنيوى متين، ولأن رب زرادشت قد اختار الحق والصلاح منذ الأزل؛ لذا فقد اعتقد زرادشت أن ربّه لا بد أن يُعاقب على الشر ولا بد أن يجازى خيرا على الخير، بل إن زرادشت آمن أن يومًا سيأتى تقوم فيه مملكة (أو ملكوت) الصلاح والخير هنا على الأرض: «فلتعلن لى أيها الرب الحكيم الواحد، يا أفضل الكلمات والأعمال. من خلال الصلاح والنفس الطيبة Good Mind نعلن ديْن dept المديح الذى علينا لك. من خلال مملكتك (ملكوتك) اجعل ما هو ممتاز (فراشا Fra-sha) وفقًا لمشيئتك» (Yasna,34,15). هذا الاكتمال أو التمام أو تجديد الوجود، كان زرادشت هو الذى عمل على تحقيقه بنفسه لأنه راح يتضرع، ربما كنا نحن الذين سنجعل الوجود ممتازًا. . عندما ستتفق كل العقول على أن التعاليم السائدة فاسدة» (Yasna,30.9) وعلى أية حال، فإن هذا الأمل سرعان ما تلاشى وراح النبى يتطلع «لوجود ثان second existence» تُقيد فيه قدرة «أتباع الضلال Lie» (Yasna,45.1).

وفى هذه الأثناء، يُكافأ الصلاح بالخلود وسينال الشر عقابًا أبديّا. وأعلن النبى بلا غموض:

«سأعلن الكلمة التى أعلنها الواحد القدوس لى Most Holy One ـ سأعلن أفضل كلمة سمعها بشر: «كل من سيصغى إليه (إلى النبى) من أجلى يصل إلى الكمال والخلود بإنجاز أعمال النفس الطيبة Good Mind (هكذا قال) الرب الحكيم. . . الذى منه كل البشر الذين هم على قيد الحياة الآن والذين كانوا قبل ذلك، والذين سيكونون فيما بعد، سيتلقون نصيبهم من الويل (أو المحنة)؛ لأنه وزع كليهما (جعل لكل واحد نصيبًا منهما). قوة الخلود ستكون لأرواح أتباع الحق، والعذاب الأبدى سيكون من

نصيب أولئك الذين يشقون طريقهم إلى الكذب (الضلال) هكذا فعل الرب الحكيم وجرى قضاؤه من خلال قوته المهيمنة» (Yasna 45,5.7).

فالإنسان إذًا يواجه الحكم الصادر له أو عليه بعد الموت: فالصالح يكافأ بالفردوس «heaven»؛ حيث الحياة الفُضلى وبالخلود والكمال متحدًا مع النفس الطيبة أو العقل الصالح Good Mind (Yasna28.8,46.12.14)، حيث ينعمون فى «بيت الإنشاد House of song» (انظر على سبيل المثال Yasna 51.15) أما الأشرار ـ من ناحية أخرى ـ فسيحيق بهم «العذاب الدائم» يطعمون طعامًا كريهًا (Yasna,13.20; 49,11) فى «بيت الضلال» (Yasna,49.11; 51.14). والحياة بعد الموت إذن تبدو امتدادًا للحياة على الأرض أى تنطوى على نوع من الجسد، لأنه بالنسبة لزرادشت وأتباعه تعنى حياة الروح والجسد، ولكى يكون هذا الإحياء حقيقة تطلع أتباع زرادشت لإحياء الجسد فى نهاية الزمان. وعلى أية حال، فالمحاكمة الفردية الفعلية بعد الموت، قد ذكرها زرادشت نفسه. وموضعها على «جسر المجازاة Bridge of Requitter»[1] (Yasna,46. 10 -11; 51.13)؛ حيث تمتحن الأرواح بمعدن مصهور ونار (Yasna 51.9) ربما كان شكلاً من أشكال التعذيب تعرض له أتباع زرادشت الأوائل (Yasna 32.7). وبعد المحاكمة يلاقى كل مصيره، الأولى للنعيم الدائم والثانية للشقاء الباقى. لقد تقررت هذه المحاكمة منذ البداية، ويبدو أن زرادشت نظر إليها باعتبارها خاتمة المطاف؛ لأن جوهر رسالته للبشر قائم على المسئولية التى أناطها الله به، وأن إساءة استخدام هذه الحرية والمسئولية لا يمكن أن تؤدى إلاّ إلى عذاب مقيم. ولنقتبس أخيرًا فقرة من فقرات نبينا الذى نحن بصدده:

«الآن تحقَّقْت، أيها الرب الحكيم من أنك كنت قُدّوسًا، عندما رأيت ذلك فى البداية عند ميلاد الوجود. فأنت قضيت أن الأعمال والكلمات المنطوقة سوف تلقى جزاءً عادلاً».

«الشر بالشر، والخير بالخير فى نهاية هذا العالم المخلوق وإلى حيث يمتد سلطانك» (Yasna 43.5).

---

(١) لعله الصّرط (؟) ـ المترجم.

الزرادشتية بعد زرادشت الأخروّيات (الإيشا تولوچيا) :

يبدو أن مثل هذه الأفكار هى المعتقدات الرئيسية التى أعلنها زرادشت نفسه، فأحد التعاليم الرئيسية التى أصبحت فيما بعد جزءاً متمماً للدين الزرادشتى، كانت عقيدة لم يشر إليها زرادشت إلاّ بكل وهن أو بتعبير آخر كان لها مجرد ظلال فى إشاراته ونعنى بها عقيدة إقامة الأجساد وإعادة الحياة إلى الأبد، وتحلّقت هذه الفكرة حول شخص السوشيانت Soashuant ـ وهى كلمة عادة ما تترجم إلى الإنجليزية «Saviour أى المخلِّص» لكن ربما كان من الأفضل أن نترجمها إلى «ذلك الآتى بالحظ السعيد he who will bring good fortune» وفى الجاثا Gathas ترد الكلمة عدة مرّات لكن يبدو أنها تشير إلى زرادشت نفسه (انظر على سبيل المثال Yasna 45.11,48.9) أو إلى حاكم دنيوى سيرسَّخ دينه (أى دين زرادشت) على الأرض، ومملكة أو ملكوت الحق والصلاح على الأرض لم تتحقق على أية حال، وبالتدريج أصبحت منوطة بالمخلّص (السوشيانت) الذى تطلع الناس إلى مجيئه فى آخر الزمان عندما يتم دحر سلطان الشر نهائيّا. «عندئذ سيجعل المخلص (السوشيانت) وأتباعه العالَم أكثر امتيازاً وسيجعله دائمًا، وغير فاسد، لا يتعرض للفوضى وسيعيش إلى الأبد فى رخاء، وسيعمل كل إنسان وفقًا لإرادته، وسيقوم الأموات، وسينعم الأحياء بالخلود.. لن ينتهى عالم المادة، ... وسينتهى الضلال Lie إلى غير رجعة» (Yasnaht 19.89-90).

هذه العقيدة الأخروية التى تتطابق مع الزرادشتية ربما نشأت فى« العصر الأخيمينى ـ Achaemenian» ـ رغم أننا لا نستطيع إثبات ذلك ـ وتطورت تطوراً كبيراً فى الكتابات التى أتت بعد ذلك. إنها ـ أى هذه الفكرة ـ أدخلت عنصراً جديداً فى تعاليم زرادشت، حيث تنتهى القصة بإطلاق كل الخاطئين من جهنم وتقديمهم إلى حيث البركة الأبدية (The teachings of Magi, by R.Zaehner,1956 pp.139.150).

فالفراشكارت Frashkart أو إصلاح الخلق أو إعادة تأهيلهم Rehabitation ـ على أية حال ـ لا ينطبق على يوم الحساب فى المسيحية. فالأرواح تحاسب كلٌّ على حدة عند الموت ثم يتم إرسالها إلى الجنة أو إلى جهنم وفقًا لما تستحقه.

وعندما يتم إصلاح الخلق وإعادة تأهيله أخيراً، فى نهاية العام الكونى ١٢٠٠٠ يولد المخلِّص (السوشيانت) من بذرة زرادشت بشكل إعجازى، ويظهر ويحيى أجساد الموتى، وتلتحم بها أرواحها من جديد، ويتم غمر الجميع فى بحر من معدن مصهور يطهرهم مما تبقى من خطاياهم. وبعد هذا التطهير النهائى يدخل كل البشر الفردوس وينعمون فيه إلى الأبد. «وسيصبح كل البشر وهم يمدحون بصوت جهير الرب الحكيم والخلود السخى Bounteous Immortals» (Ibid,p.148). «وسيصبح العالم المادى خالداً إلى الأبد» (Ibid,p.150) وسيخلد أهريمن Ahriman (الشيطان) وأتباعه فى الجحيم ليهلكوا أو ليصبحوا مسلوبى القوة إلى الأبد.

اللاهوت

لقد رأينا بصدد حديثنا عن النبى زرادشت، أنه اعترف بوجود روحين، روح مقدسة، وروح شريرة، اختارت كل منهما منذ البداية اختياراً حرّا لا نهائيّا (لا يُنْسخ أو يُغيّر) بين الخير والشر. أما أهورا مزدا الذى هو الله، فقد كان بمعنى من المعانى مطابقًا للروح القدس Holy Spirit وأعلن نفسه ضد الروح الشريرة Evil One. وعلى أية حال فعن أصل الروح الشريرة، صمت زرادشت. حقيقة أن عنصرى الثَّنوية كاملة a total dualism وجدا فى أصل أو بذرة germ فى الجاثا Gathas ما دام «أهورا مزدا» قد ارتبط دائمًا بالروح القدس والصلاح، وأعلن إدانته المطلقة للضلال (الكذب Lie) وكل ما يقترفه من أعمال. وعلى أية حال، فهذا لا يعنى أن زرادشت اعتقد فى وجود مبدأين منفصلين مسئولين عن العالم (الكون)، وإنما يعنى فيما يرى أن الله رفض الشر وأدانه فى اللحظة نفسها التى نشأ فيها (أى الشر).

وعلى هذا ففى الجاثا Gathas نجد «أهورا مزدا»، والروح القدس مرتبطين بشكل جوهرى لكنهما ليسا شيئًا واحداً identical، ففى فقرة واحدة تمت الإشارة إلى «أهورا مزدا» كأب Father للروح القدس. فما هى علاقة الأب (أهورا مزدا) بالروح الشريرة أنجرا مانيو Angra Mainyu أو «أهريمن Ahriman» كما سُمّى فى فترة لاحقة؟ هذا هو الموضوع الذى كان على اللاهوتيين الزرادشت أن يعطوه حقه من البحث حتى الفتح

الإسلامى للإمبراطورية ا لفارسية وبعد ذلك بفترة طويلة. وتعقد الموقف بالحقيقة التى مؤداها أنه فى فترة باكرة تم اعتبار الروح القدس مطابقة تمام المطابقة لأهورا مزدا (الله) بل وأصبحت ببساطة اسمًا آخر له. والآن فإننا نجد فى الجاثا Gathas أن الروح القدس والروح الشريرة توأمان. وإذا كان الروح القدس مجرد اسم آخر لأهورا مزدا (الله) فهذا يعنى أن الله والشيطان أو أهورا مزدا، وأنجرا مانيو أو أهورا مزدا وأهريمن كما سميا بعد ذلك ـ كانا أخوين توأمين، وإذا كانا كذلك فلا بد أن لهما أصلاً واحدًا (أبًا واحدًا) progenitor مشتركا. وعلى هذا وضع أتباع النبى فوق أهورا مزدا وأهريمن أو فى الزمن اللامتناهى Zurvan akanarak (or Infinite Time) ـ وهكذا أصبح هذا هو المبدأ الأول الذى خرج منه روح الخير وروح الشر. لكن الأمر غير ذلك ففقرات الجاثا Gathic passageإما تم تجاهلها أو أسيئت ترجمتها، ومن هنا تمت إذاعة الثنوية الخالصة (ولم تكن الزرادشتية الأصلية فى حقيقتها كذلك)، وبناء على هذه الثنوية أصبح أهورا مزدا Ohrmazd و أهريمن Ahriman أى الله والشيطان مبدأين أزليين مشتركين، أحدهما (الله) خير خالص، والآخر (الشيطان) شر خالص. وعندما تم إحياء الزرادشتية كدين للدولة الساسانية (٢٢٦ ـ ٦٥٢م) أصبحت الثنوية الخالصة فى النهاية هى العقيدة الرسمية للدولة، وأصبح ينظر إليها باعتبارها العقيدة الأصلية (الأرثوذكسية) وربما كان ذلك فى عهد خسرو الأول khusraw I (٣٥١ ـ ٥٧٨م).
وبعد الفتح الإسلامى ظلت هذه الثنوية الجامدة تمثل العقيدة الأرثوذكسية للزرادشت: إنه الدين الذى انتقل من خلال ما يسمى بالكتب البهلوية pahlavi التى رغم أنها كتبت فى غالبها فى شكلها الحالى فى القرن التاسع للميلاد ، إلاّ أنه من المؤكد أنها تمثل وجهات نظر اللاهوتيين فى القرن الأخير من حكم الإمبراطورية الساسانية، وهكذا أصبحت الزرادشتية والثنوية كلمتين مترادفتين «ولم يكن الأمر كذلك كما أشار المؤلف قبل ذلك وإنما هذا من سوء فهم الرسل (الدعاة) واللاهوتيين ـ المترجم» ولم يحدث إلاّ فى خلال القرن الأخير أن تم إحياء البقايا الباقية لعقيدة النبى، فقد فكر الفرس فى الهند فى أنه من المناسب إعادة بحث هذه الثنوية الجامدة.

ولا يكاد يكون هناك إلاّ القليل من الشك فى أن هذا التغير كان بتأثير المسيحية كما فُهمت فى الهند، كما كان أيضًا نتيجة عدم شعور الزرادشت أنفسهم بعدم الارتياح

للثنوية التى بدت لهم غير محترمة كل الاحترام. وعلى نحو ما كانت الثنوية رحمة لأن الثنوية الكلاسية Classic dualism كما وردت فى الكتب البهلوية، ربما كانت هى أكثر الحلول عقلانية لمشكلة الشر.

وعلى أية حال فبالنسبة للزرادشت الأرثوذكس (الأصوليين) فى الدولة الساسانية وبداية الفترة الإسلامية كان هناك منذ البدء مبدآن لا مبدأ واحد. ففى كتبهم التى تحوى خلاصة عقيدتهم نقرأ: «لا بد ألاَّ يتطرق إلىَّ الشك فى وجود مبدأين أوليين أحدهما خالق creator والآخر مدمِّر destroyer، الخالق هو «أهورا مزدا» وكله خير ونور، والمدمر أو المخرّب هو «أهريمن» الملعون الممتلئ شرّا وموتًا وضلالاً (كذبًا) وخداعًا» (Ibid,pp.22.23).

وكان هذان المبدآن وفقًا للتصوّر السائد يوجد أحدهما فى السمو (العُلو) فى النور، ويوجد الآخر فى الدّنو (إلى الأسفل) فى الظلمة، ويفصل بينهما الفراغ void (Ibid,pp.34-35).

«وأهورا مزدا» الذى هو «الله» أو مبدأ الخير تحقَّق من أنَّ عدوه عرف بوجوده وأنَّه سيهاجمه «لأن إرادته هى أن يؤذى ويقتل to smite» (Ibid.p.36)؛ لهذا خلق العالم الروحى والعالم المادى كوسائل لحماية نفسه، فبضربة واحدة حلّت الثنوية الزرادشتية «التقليدية Classical» تلك المشكلتين العويصتين ـ أصل الشر وسبب الخلق، بل وفرغتهما من كل ما فيهما من أسرار وغموض. فإذا كان الشر مبدأ منفصلاً فإن أصله لم يعد غامضًا، والخلق لم يعد ـ بهذا التفكير ـ انسيابًا غامضًا من الله، وإنما أصبح ـ ببساطة ـ وسيلة يحمى بها نفسه من عدوه الأزلى.

فالله يخلق لأنه يجب أن يفعل ذلك، أو يجب أن يخلق بصرف النظر عن اهتمامه بالخلق، وأكثر من هذا فهناك نوع من العدالة المعيَّنة ذات الطابع الشعرى poetic justice فى الأمر كله: لأن الواحد الشرير the Evil One بحكم طبيعته النزاعة للفوضى والغباء ـ تكمن فيه أداة تدمير نفسه، فهو يغزو العالم ويسبب الموت والمرض والخطيئة ويحلّها جميعًا فيه (أى فى العالم) ورغم قدرته على إيذاء خلق الله إيذاء عظيمًا، فإن الإجبار الداخلى (الكامن فيه) على تحطيم ذاته يظل موجودًا بشكل أكبر،

لأنه منذ أن دخل العالم أصبح سجينًا فيه، كسائمة وقعت فى شَرَك فراحت تدور مندفعة حول الخراب الناتج عن اندفاعها. وقد جرى التعبير عن هذا المأزق، أو البرهان المتناقض بالكلمات التالية:

أهورا مزدا «مثل مالك بستان، أو مثل بستانى حكيم، قصدت البهائم والطيور المؤذية والمخربة أن تلحق الضرر بأشجار بستانه وثمارها، فقام البستانى الحكيم ليقى نفسه المتاعب وليجعل هذه السوائم وتلك الطيور المضرة خارج بستانه، بتدبير وسائل لاصطيادها كالفخاخ والشِّراك. . حتى إذا ما رأت هذه الشراك والفخاخ وحاولت الإفلات منها، وقعت فيها وهى لا تعرف طبيعتها . إنه من الواضح أنه عندما وقعت البهيمة فى الشَّرَك، فإن ذلك لم يكن بفعل قوَّة الشَّرَك فى حد ذاته، وإنما بفعل قوَّة صانع الشرك (الذى نصبه) ويعرف مالك البستان وناصب الشرك بحكمته مدى قوّة البهيمة ومدى الفترة التى يمكن أن يظل الشرك ممسكًا بها. فالقوة والطاقة اللتان توجدان فى جسد البهيمة تمت معادلتهما بالمقاومة ضد الشرك ونسبة القوة اللازمة لوطء الشرك ونزعه، وتحطيمه، وما دامت قوة البهيمة غير كافية، فإن طاقتها ستُستنفذ وتُصبح قوتها غير ذات مفعول. وهنا يكون البستانى الحكيم قد وضع خطته موضع التنفيذ، ويعلم بنتائج عمله إذ يقود البهيمة خارج الشرك، فيبقى جوهر البهيمة كما هو، لكن أثرها أو فاعليتها المدمِّرة يكون بغير مفعول، ويُعيد البستانى شراكه كما كانت لم تتحطم إلى مخزنه ليعيدها بعد إصلاحها مرة أخرى» (Ibid,pp49.50).

فعملية الخلق ـ إذًا ـ هى شَرَك وقع فيه الشيطان، ويقف الإنسان فى المقدمة مواجهًا له فى المعركة. وعلى أية حال، فإن الملائكة الأقوى من الإنسان هى الأكثر اهتمامًا بهذه «المعركة الكونية ـ Cosmic battle»، «فالملائكة» angels و«الأرباب ـ Gods» مخلوقات روحية تشبه كثيرًا الملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام. وستة من هذه الملائكة وردت فى الجاثا Gathas حيث نجدها ـ على أية حال ـ أقرب ما تكون إلى قُدرات faculties الله الواحد وهى: «النفس الطيبة ـ the Good Mind»، والصلاح Righteousness، والملكوت Kingdom، و«التفكير الصائب ـ Right mindedness»، والكمال والخلود. وفى الزرادشتية اللاحقة (المتأخرة زمنًا) أصبحت هذه القدرات كينونات منفصلة separate entities على نحو يمكن أن نطلق على كل

منهـا رئيس ملائكته archangels وأصبح لكل منهـا وجود شـخصى أو ذاتى كـامل. وبالإضافة لهذا فبعض الآلهة القديمة ـ على أية حال ـ التى كان زرادشت قد أنكرها أو جعلها شيطانية، عادت للظهور كملائكة ذوات سلطان تحارب إلى جانب الله (أهورا مـزدا)، وأعظمـها هو متـرا Mithra الذى كـان يقـوم بمثل هذا الدور المدهش فى بداية الإمبراطورية الرومانية. هذه المخلوقات الروحانية تشن حربًا لا تنتهى ضد «أهريمن» وكل مـخلوقـاته الشيطانية. وكـان على الإنسـان أيضًـا أن يؤدى دورًا فى الحرب ضـد الشر، وقد أدى هذا الدور فى الأساس بالتزامه التفكير الطيب ونطقه بالكلمات الطيبة وأدائه الأعمال الطيبة بالتناسل وفلاحة الأرض؛ لتكون مثمرة لأن الحياة لكونها خلق الله (أهورامزدا Ohrmazd) لا بد من حفظها ضد الموت الذى جلبه للعالـم عدو الله أهريمن Ahriman . والعالم المادى ـ أيضًـا ـ هو خلق «أهورامزدا» لذا فهو طيب، ولهذا فلم يكن فى الزرادشتية فى أى وقت من الأوقات نظم نسك أو تقشف (صوفية) -ascet icism مـا دام احتقـار الحياة المادية يعتبر بالنسبة لهـم نوعًا من الكفر أو التجديف على الله. وبالنسبة للزرادشتيين لا يعتبر الشر مرادفًا للمادة، وليس الأمر كذلك بالنسبة لأتباع مانى (المانوية Manichees)، بل إن الزرادشتيين يعتبرون المادة خيرًا، وإن الشر مبدأ روحى معـاد للخَلْق المادى، كـما أنه معاد لله. ومن هنا جـاء احترام الزرادشت للأشياء المادية. خًاصة فى شكلهـا الأكثر بساطة، كـالعناصر الأولى ومن بينهـا النار والماء على نحو خاص.

القدرة وحرية الإرادة

لقد رأينا أن حرية الإرادة البشرية ـ ربما كانت هى العقيدة الأساسية التى أعلن عنها النبى زرادشت نفسه، وهذه العقيدة استمرت فى الأساس فى العصور «الوسطى» وهى من سـمـات هـذا الدين؛ إذ تقـضى بأن الله لم يجـعل الإنسـان فى هذا الكون World ليحارب الشر Evil One دون أن يحصل على موافقته الحرّة his free consent، بل وأكثر من هذا فقد «تشاور مع أرواح البشر الواعية منذ الأزل وغرس فيها الحكمة الكلية قائلاً لها: أنتم وما ترونه ملائمًا أو مريحًا لكم أأعدِّكم فى شكل مادى ومعنى هذا أنه يجب أن تكافحوا متجسدين ضد الضلال Lie وتحطمونه، أو أن نبعثكم (نقيمكم) فى

النهاية لتكونوا كاملين خالدين، ونعيد خلقكم فى شكل مادى لتكونوا أبديين خالدين أزليين بلا أعداء ـ أو أن نجعلكم محفوظين من الباغى Aggressor؟ ورأت أرواح البشر الأزلية أو الموجودة قبل الوجود بما أوتيت من حكمة العلم الكلى، أنها لا بد أن تعانى الشر من الضلال Lie وأهريمن Ahriman فى هذه الدنيا world، لكن بسبب الآخرة end التى سيُبعثون فيها أحرا رًا من عداوة الضِّد Adversary ـ ليكونوا كاملين خالدين، فقد وافقوا أن يُجْعَلوا فى شكل مادى» (Ibid, p.41).

كل الأديان ـ عاجلاً أم آجلاً ـ لا بد أن تخوض فى الجدل حول الاختيار والجبر، أو بتعبير آخر حرية الإرادة والجبرية، أو بتعبير ثالث القضاء والقدر المفروض من الله، من ناحية وتشكيل الإنسان لقضائه وقدره بنفسه من ناحية أخرى، وقد اتخذ زرادشت موقفه بثبات إلى جانب حرية الإرادة المطلقة، لكن هذا لم يمنع تسرب الجبرية إلى دينه فى فترة الحكم الساسانى وما بعدها. والمثال الصارخ على ذلك يمكن عرضه من النص التالى: «عندما يساعد القدر الرجل الشرير الكسول ذا العقل غير المستقيم فإن كسله يصبح كالطاقة، ويُصبح عدم استقامة عقله حكمة ويصبح شره كالخير، وعندما يعاند القدر الحكيم المهذب ذا العقل الراجح تنقلب حكمته إلى بلاهة وغباء وينقلب أدبه وتهذيبه إلى سفه ولا يجدى علمه وأدبه ورجولته» (Menoke I Khrat,51).

وعلى أية حال، فهذا انحراف خطير عن تقاليد زرادشت النبى، والنظرة السلفية (الأرثوذكسية) تظهر أكثر صدقًا فى النص التالى: «تنقسم الأشياء فى هذا العالم إلى خمسة وعشرين قسمًا: خمسة من خلال القدر، وخمسة من خلال العمل، وخمسة من خلال الطبيعة، وخمسة من خلال الشخصية، وخمسة من خلال الميراث (الوراثة). فالحياة والزوجة والأطفال والسلطة والثروة **قدر**، والعضوية فى إحدى طبقات رجال الدين والمقاتلين (الجند) والمزارعين، والفضيلة والرذيلة **عمل**، ومباشرة الزوجة وإرضاء الحاجات الطبيعية، الأكل والشرب والمشى والنوم، كل ذلك من خلال **الطبيعة**، والصداقة والاحترام والكرم والصلاح والتواضع كل هذا من خلال **الشخصية**. والجسم والمكانة والفهم والذكاء والقوة، كل هذا عن طريق **الوراثة**» (Pahlavi Texts,p.82).

الأخـلاق

تلخص الكلمات الآتيات المبادئ الأخلاقية الزرادشتية : «أفكار طيبة، وكلمات طيبة، وأعمال طيبة» وإذا كانت الزرادشتية الباكرة قد أصبحت ثَنوية dualist فذلك راجع إلى أن إله زرادشت متطابق تمامًا مع الطيبة والصلاح لدرجة أنه لم يكن هناك مجال للتفكير فى أن يكون حتى بشكل غير مباشر مسئولاً عن الشر. لقد رأينا أن أكثر «الجوانب aspects» بروزًا أو هيمنة فى «أهورا مزدا» فى الجاثا Gathas ـ النفس الطيبة، والصلاح والملكوت والعقل السَّوى، والكمال والخلود ـ قد أصبحت فى زمن لاحق رؤساء ملائكة Orchangles.

وعلى أية حال فهى كصفات أو مزايا جيدة مشتركة بين الله والإنسان، لأن الكمال والخلود هما القدر الذى من أجله قصد الله الإنسان؛ حيث الصلاح وطيبة النفس والقصد من الصفات الإلهية التى يجب على الإنسان أن يحذو حذوها.

وعلى كل حال ففى العصور الوسطى جرى تفسير الصلاح بمعنى «التَّوسُّط the mean» ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن هذه الفكرة مُستعارة من أرسطو ـ Aristotle وقد تشربها الإيرانيون لدرجة زعمهم أنها فكرتهم، فنحن نقرأ أن: «إيران كانت دائمًا مستوردًا للتوسّط the mean» تنتقد المبالغة أو الإسفاف والعجز والنقص. وفى الإمبراطورية البيزنطية وجدنا الفلاسفة، وفى الهند وجدنا المتعلمين، وفى أماكن أخرى وجدنا الاختصاصيين كلهم ـ بشكل عام ـ يمتدحون الشخص إذا أظهرت حجته حدَّة ذهن وكياسة، لكن فى مملكة إيران لا يبدون موافقة إلاَّ على الحكمة الحقيقية (Dénkart,Madan p:429).

لقد صارت الأخلاق الزرادشتية متقنة بشكل كبير، خلال الفترة الساسانية عندما أصبحت دين الدولة الرسمى. وليس مما يدعو للدهشة إذًا أن نجد فيها بصمة أرسطية. فالأخلاق الزرادشتية فى الأساس هى أخلاق الشخص المهذَّب (الچنتلمان) وحتى بعد انقضاء الإمبراطورية الفارسية على يد المسلمين وحلول الإسلام تدريجيّا محل الزرادشتية وانتشاره فى الأراضى الإيرانية، ظلت الأخلاق الأرسطية (المعزوّة إلى أرسطو) مرسّخة وجودها فى المناخ الدينى الجديد وظلت باقية فترة طويلة قبل أن تتفتّت ديانة النبى (زرادشت) قبل اجتياح أتباع نبى آخر (يقصد

محمداً ﷺ) القادمين من شبه الجزيرة العربية حيث البداوة (النص : bar- Arabia barious أى شبه الجزيرة العربية المتبربرة) .

ومن المتوقع من الزرادشتى أن يتناسل reproduce himself معتبراً ذلك واجبًا دينيّا وأن يجعل الأرض خصبة ويجب أن يرضى بنصيبه وأن يعمل دائمًا ما هو طيب ولا يجازى بالشر شرّا (Ibid,p.113) والمبدأ السلوكى الأساسى الذى يجب أن يتبعه المرء هو أن «يحب للآخرين ما يحب لنفسه» وهو مبدأ صحيح أيضًا بالنسبة للمسيحى والبوذى والكونفوشيوسى (*)

فالأخلاق الزرادشتية يمكن مقارنتها بالأخلاق فى سفر الأمثال وسفر الجامعة . إنها فى الأساس أخلاق التوسط أو الاعتدال . إنها أخلاق مهذّبة مصقولة urbane فالشرب (المقصود شرب الخمر) باعتدال يلقى استحسانًا ، أما الإسراف فى هذا الشىء الطيب فمرفوض وموضع توبيخ . والعالم لا هو أسير ولا هو منفى كما فى كثير من الأديان ، إنه مسكن انتقالى فيه كثير مما هو طيب وباعث على البهجة ، ويعد تراجعًا عن الخطيئة أن يقوم المرء بعمل أفضل الأشياء على هذه الأرض «اعمل فى القداسة أى شىء ترغبه» تلك قاعدة سلوكية ذهبية . وتمقت الزرادشتية العبارات الموهمة بالتناقض ؛ لذا فلن نجد فيها أيّا من هذه العبارات المتناقضة ظاهراً paradoxes التى تزخر بها المسيحية والبوذية . وليس هناك حاجة للتضحية بالنفس على نحو بطولى أو ضرورة لأن يحب المرء عدوه وأن يبارك لاعنه ، ما دام هؤلاء الأعداء لا بد أن يكونوا على أية حال «أتباع الضلال ـ Lie» والضلال أو الكذب هو رأس كل خطيئة ، وأكثر من هذا «فلا تتخذ من عدو الأمس صديقًا لأن العدو القديم كالحية السوداء لا تنسى الجروح القديمة لمئات السنين» حقيقة أن نار النبى (زرادشت) لم تعد متوهّجة فى الأخلاق التى تطورت حاملة اسمه خلال فترة الحكم الساسانى لكن الحكمة الدنيوية التى أبداها الزرادشتيون ظلت جزءاً من الموروث الإيرانى حتى يومنا هذا ، بينما زرادشت الذى هو ابن إيران الأعظم ، لا يمثل بالنسبة للإيرانى العادى إلاَّ ما يزيد عن كونه مجرَّد اسم .

(*) لم يذكر الإسلام مع وجود أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ بالمعنى نفسه .

القربان المقدَّس

الطقس المحورى للزرادشتيين هو الياسنا Yasna وهى كلمة تعنى حرفيّا «تقديم الأضاحى». وكما رأينا لقد هاجم زرادشت بعنف طقس الأضحيات القديم الذى كان يعنى ذبح ثور، وتقديم شراب متخمّر من نبات يسمى الهوما Haoma، بل إن تناول شراب الهوما هذا كان منذ وقت سحيق يشكل محور الطقس الزرادشتى وسواء كان هذا الطقس ـ بشكل ما ـ قد تسامح زرادشت بشأنه حقّا، أو أنه طقس قد دخل الزرادشتيةه بعد ذلك على عكس ما كان يريد، فإنه ـ أى هذا الطقس ـ لم يكن أبدًا موضع خلاف فى أى وقت من الأوقات، ومن أى جماعة زرادشتية. لقد وعد زرادشت أتباعه بالخلود، وفى طقس «عصير الهوما ـ Haoma-juice» يوجد «الإكسير ـ elixir» الذى يهبُ الخلود، والهوما ليس مجرد نبات (انظر على سبيل المثال The Indian Soma,p.226) إنه أيضًا رب god (بمعنى مَلَك كما سبق واتضح من المقال ـ المترجم).

وابن أهورا مزدا، وفى الطقس« النبات الرب ـ The plant God» يتم سحق النبات فى الهاوية، إنه بهذه الطريقة ـ كما يقال ـ يتم التضحية بالرب (النبات) ويقدم نفسه إلى أبيه السماوى، ويعتبر الهوما ـ كلاسيّا ـ كاهنًا وأضحية فى الوقت نفسه ـ ابن الله إذًا يقدم نفسه لأبيه السماوى. وبعد ذلك يقدم الشراب فيشترك الكاهن والمؤمن فى الشراب السماوى، بذلك يشترك الجميع مع الله فى الخلود. وهذا القربان المقدس هو عربون الحياة الأبدية التى سيرثها البشر روحًا وجسدًا فى الأيام الأخيرة. والفكرة شبيهة بشكل مدهش بفكرة «القدَّاس الكاثوليكى ـ Catholic Mass».

لقد تلاشت الزرادشتية عمليّا من عالم اليوم، لكن كثيرًا مما دعا إليه النبى الإيرانى لا زال يعيش اليوم فيما لا يقل عن ثلاثة أديان كبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام. إنه يبدو من المؤكد تمامًا أن تعاليم زرادشت الأساسية كانت معروفة لليهود فى الأسر البابلى، وعلى هذا فقد حدث فى هذه القرون الحيوية ـ رغم غموضها ـ السابقة على قدوم المسيح أن تشربت اليهودية فى شراينها وأوردتها كثيرًا من تعاليم زرادشت أكثر مما كانت ـ أى اليهودية ـ تستطيع تقديمه، ويبدو من المحتمل أن اليهود أخذوا من تعاليم زرادشت أو تعاليم أتباعه المباشرين فكرة خلود الروح وقيام الجسد، والشيطان الذى لا

يأتمر بأمر الله إنما هو عدو له. بل ربما أيضًا فكرة «المخلّص ـ Savioir» الذى سيظهر فى نهاية الزمان. كل هذه الأفكار ـ بشكل أو بآخر ـ قد انتقلت للمسيحية والإسلام. هناك عقيدة واحدة فى الديانة الزرادشتية تم رفضها ـ تقليديّا ـ رفضًا تامّا، إنها العقيدة التى أصبحت حجر الزاوية فى كل النظام الزرادشتى، وإن كانت فيما يبدو مُقحمة على تعاليم زرادشت نفسه أو دخيلة عليها ـ وهى فكرة الوجود الأزلى المشترك لمبدأى الخير والشر. هذه الفكرة رغم اتفاقها مع العقل إلاّ أنها ضد الغريزة الدينية المتعمقة فى الإنسان، ورفضها اليهود والمسيحيون والمسلمون على سواء، بل ووفقًا للفرس المحدثين الذين راحوا يوازنون الأدلة فإن هذه الفكرة كانت مرفوضة من زرادشت نفسه على الأقل بشكلها الجامد الذى ظهر فيما بعد.

لقد كان زرادشت واحداً من أعظم العباقرة الدينيين فى كل العصور، إنه النبى الذى اعتقد أنه أجرى حديثًا مع الله. لقد غمطه من أتوا بعده حقّه. إنهم الذين لم يكتفوا بإحلال آلهة غير الإله الواحد محل الدين الذى أتى به، تلك الآلهة التى كان زرادشت قد أنزلها من فوق عروشها، وإنما حولوا دعوته النبوية إلى ثَنْوية جافة حطمت فكرته عن الله كموجود قدسى صالح وطيب. لكن الزرادشتية فى عهد الدولة الساسانية وإن كانت قد شوهت دعوة النبى (زرادشت) إلاّ أنها ارتبطت ـ رغم هذا ـ بالتعليم الأساسى للنبى (زرادشت) أعنى أن الله هو خير Good تام بكل ما فى الكلمة من معنى رغم كل الظواهر المعاكسة لهذه الفكرة.

***